حرمة دماء المسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**}(١).

الإنسان هو سيد هذا الكون، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، فكل ما في الكون مسخر لخدمة الإنسان، من هنا فالإسلام كعقيدة وشريعة ودستور ونظام حياة، يكرم الإنسان تكريماً عظيماً، قال تعالى:{**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**}(٢).

وهناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تبين مدى اهتمام الإسلام بالإنسان، فقد حذر الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- من الاعتداء على الإنسان، فقال -صلى الله عليه وسلم-: (**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**)(٣).

---

(١) سورة البقرة ، الآية(٣٠)

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٧٠)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الديات ٧ باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن ١٦/٤ رقم ١٣٩٥

ويقول أيضاً: **(لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمْ اللَّهُ فِي النَّارِ)**[١].

ويقول – صلى الله عليه وسلم –: **(إِنَّ الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)**[٢].

كما وورد(**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:" أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟" قَالُوا: يَوْمُ النَّحْرِ، قَالَ : " فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ " قَالُوا :هَذَا بَلَدُ اللَّهِ الْحَرَامُ، قَالَ: " فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟" قَالُوا : شَهْرُ اللَّهِ الْحَرَامُ ، قَالَ:"هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ، وَدِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ هَذَا الْبَلَدِ، فِي هَذَا الشَّهْرِ، فِي هَذَا الْيَوْمِ" ثُمَّ قَالَ:"هَلْ بَلَّغْتُ ؟" قَالُوا: نَعَمْ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: " اللَّهُمَّ اشْهَدْ " ثُمَّ وَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا : هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ)**[٣].

كما قال – صلى الله عليه وسلم –: **(لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)**[٤].

إن رسولنا – صلى الله عليه وسلم – يقول: **(وَمَنْ لَعَنَ مؤمناً فهو كَقَتْلِهِ)**[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الديات ٨ باب الحكم في الدماء ١٧/٤ رقم ١٣٩٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق ٢ باب ما جاء في سبع أرضين ٣٣٨/٦ رقم ٣١٩٧

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك٧٦ باب الخطبة يوم النحر ١٠١٦/٢ رقم ٣٠٥٨

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات ٢باب قول الله تعالى (ومن أحياها ...) ١٩٨/١٢ رقم ٦٨٦٨

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ٤٤باب ما ينهى عن السباب واللعن ٤٧٩/١٠ رقم ٦٠٤٧

فكيف بقتله عمداً وظلماً ؟ حيث بَيَّن الله عز وجل الغضب الشديد الذي يلحق بالقاتل جزاء فعلته الشنيعة : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ (١) ، وقد رسم الإسلام الخطوط العريضة لسلامة الإنسان وكرامته وعدم الاعتداء عليه وقتله ، فقال – عليه الصلاة و السلام– :(**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمُفَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**)(٢).

ومن الأمور المؤسفة في هذه الأيام أن كرامة الإنسان قد ديست، وأن الاعتداء على حياته أصبح سهلاً و هيناً.

وهذا كله يخالف تعاليم الإسلام التي تنص على الحلم والعفو والصبر ، وحرمة الإنسان المسلم، فتسمع عن حوادث القتل بين المسلمين أبناء الشعب الواحد ، ويُقتل الرجال ويُيتم الأطفال، وتُرمل النساء، و تُخرب البيوت، وتُصاب الأمة بحالة من الذعر.

بم يجيب القاتل يوم يأخذ المقتول بتلابيبه بين يدي رب العالمين؟! يقول: يا رب سل هذا لم قتلني؟ ويتَّم أطفالي؟ وخرَّب بيتي؟ وهدم سعادتي؟ وأدخل الحزن على أهلي؟.

إن المجتمع في الإسلام ، مجتمع يسوده الحب الخالص والود والصفاء، والتعاون والإيثار، لا مكان فيه للأنانية والأحقاد، والتدابر والتناحر.

---

(١) سورة النساء ، آية (٩٣)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات ٦باب في قول الله تعالى (إن النفس بالنفس ...) ٢٠٩/١٢ رقم ٦٨٧٨

وعدونا الأول الشيطان – لعنه الله وأخزاه، وكفَّ عنَّا وعنكم أذاه – يعمل جاهداً لإفساد العلاقة بين المسلمين، ونشر الحقد والغل والبغضاء بينهم، لذلك حذرنا عليه السلام من ذلك بقوله: (**إنَّ الشيطانَ قد يَئِسَ أن يعبدَهُ المصلون في جزيرةِ العرب ، ولكنّه لمَ يَيَأسْ من التحريشِ بينهم**) (١).

إن عدوَّ الله – إبليس – لا يرضى للمسلم أن يحب أخاه المسلم، فيعمل جاهداً من أجل إفساد العلاقات الأخوية، كما قال عز وجل: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ}**(٢) .

لقد حصل مرة بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن نشأت بين بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – مشادة كلامية، سمع منها ارتفاع الصوت، فأخرجت أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – يدها الطاهرة من الحجرة وأخذت تقول لهم : إن نبيكم يكره التفرق ، ثم تلت عليهم قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ (٣)، وتعني أن الخصام أساس الفرقة، والفرقة أساس البلاء، ولله در القائل:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا أفراداً

تأبي العصي إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحاداً

لقد كرَّس نبينا – صلى الله عليه وسلم – كل حياته لخلق مجتمع مترابط متعاضد سليم، حيث حَثَّ – عليه الصلاة والسلام – المسلمين على حب بعضهم البعض ، كما حثهم على ترك الغش والحقد والبغضاء، فقد روى عن سعيد بن المسيب قال: قال أنس بن مالك –رضي الله عنه–: قال لي رسول الله –صلى

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣/٣٥٤

(٢) سورة فاطر ، الآية (٦)

(٣) سورة الأنعام ، أية (١٥٩)

الله عليه وسلم-: (**يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ لِي يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ**)[1].

وهل نخر مجتمعنا إلا ما في القلوب من غش وسواد، ولو شغلتنا تقوى الله، لكنَّا أهدى سبيلا، وأقوم قيلا، إن قسوة القلب جزء من اللعنة التي أنزلها الله بأهل الكتاب، لما نقضوا مواثيقهم واتبعوا أهواءهم.

فالواجب علينا جميعاً أن نبتعد عن الحقد والغل والحسد، وأن نتحابب، فالأمة العربية والإسلامية تنظر إلينا، وتراقب أحوالنا ، فليكن شعارنا جميعاً قول رسولنا الأكرم- صلى الله عليه وسلم -: (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**)[2].

والله الهادي إلى سواء السبيل

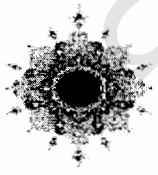

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب العلم ١٦باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٤٦/٥ رقم ٢٦٧٨

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي في كتاب البر والصلة والآداب ١٧ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٣٥٥/٨ رقم ٢٥٨٦

الأسرى البواسل، والدعوة إلى الوحدة الوطنية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

نبدأ حديثنا بالقول المشهور: **(وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر)**.

وها هو البدر الذي لم يغب عنّا قط، لم يغب عن أرواحنا، وعن عقولنا، البدر هنا هم أسرانا البواسل، القادة العظام، والرجال الرجال، الذين أحييهم جميعاً اليوم باسم الشعب الفلسطيني من رفح الصمود إلى جنين القسام، هؤلاء الذين يمسكون بالبوصلة من جديد لتبقى متجهة إلى القدس، العاصمة الأبدية لدولة فلسطين المستقلة إن شاء الله تعالى.

فقد دعا الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية جماهير شعبنا المرابط إلى الوحدة، ورص الصفوف، ونبذ الفرقة والاختلاف، وأن تكون الأيام القادمة أيام وحدة، ومحبة وتآلف بين أبناء الشعب الواحد، والقضية الواحدة، والهدف الواحد.

وهدد الأسرى الأبطال بأنهم سيعلنون الإضراب المفتوح عن الطعام في حالة عدم توقف الاقتتال الداخلي بين أبناء الشعب الفلسطيني.

وأنا هنا للمرة الثانية أشكر أشقاءنا الأسرى على هذا الموقف المشرف، حيث إنه ليس غريبا على أبطالنا الميامين، الذين يقومون بواجبهم الوطني رغم

سجن السجان، وما يتعرضون له من تنكيل وتعذيب، وبعد عن الأهل والأحبة، فها هم يقومون بدور جديد في جمع الشمل الفلسطيني، وإطفاء نار الفتنة بين الإخوة، يضاف إلى موقفهم المشرف السابق بإنجاز وثيقة الأسرى المعروفة بوثيقة الوفاق الوطني، والتي كان لها دور كبير في توحيد الفصائل الوطنية والإسلامية.

ونحن هنا نتساءل: لماذا هذا الاختلاف بين أبناء الشعب الواحد ؟!! ولماذا تراق الدماء الفلسطينية؟!!

أنسينا ما يفعله بنا المحتلون صباح مساء من قتل، واعتقال، وتدمير وغير ذلك؟!

أنسينا أننا نعيش في شهر من الشهور الحرم؟! في شهر ذي الحجة، حيث أعلن الرسول -عليه الصلاة والسلام- في خطبته المشهورة في حجة الوداع فقال: **(هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ، وَدِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ هَذَا الْبَلَدِ، فِي هَذَا الشَّهْرِ، فِي هَذَا الْيَوْمِ)**(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً: **(لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)**(٢).

وأنا هنا أتساءل كيف يجرؤ الإنسان على قتل أخيه الإنسان؟! فقد بين الله عز وجل الغضب الشديد الذي يلحق بالقاتل جراء فعلته:**{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}**(٣).

وها هم حجاجنا الكرام قد عادوا سالمين إلى أهليهم وذويهم ووطنهم، فحمداً

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك ٧٦باب الخطبة يوم النحر ١٠١٦/٢ رقم ٣٠٥٨

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الديات ٧ باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن ١٦/٤ رقم ١٣٩٥

(٣) سورة النساء ، الآية (٩٣)

لله على سلامتهم، وحج مبرور، وسعي مشكور، وذنب مغفور، وتجارة لن تبور، عادوا بعد أن زاروا مهبط الوحي الذي عم البلاد، وطافوا بالكعبة المشرفة التي يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام- في حقها: **(مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ ، مَالِهِ وَدَمِهِ)** (١).

ألم يكفنا ما يحدث لنا على أرض فلسطين من قبل المحتلين؟!

ألم يكفنا ما يحدث لأشقائنا الفلسطينيين الذين يُقتلون صباح مساء على أرض العراق؟!!

ألم يقل الشاعر: إن المصائب يجمعن المصابينا...؟!

ماذا نقول للشهيد الرئيس/ ياسر عرفات؟! الذي كان يردد دائماً: الوحدة الوطنية، الوحدة الوطنية، الوحدة الوطنية ...!!

ماذا نقول للشهيد الشيخ/ أحمد ياسين؟! الذي كان يردد دائماً قول الله تعالى: **{لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}**(٢).

ماذا نقول للشهداء، أبو علي مصطفى، والدكتور/ فتحي الشقاقي، وعمر القاسم، وأبو العباس، وكل شهداء فلسطين؟.

ماذا نقول يا أبناء شعبنا الكريم لأسرانا البواسل الذين كتبوا وثيقة الأسرى والتي أصبحت تعرف بوثيقة الوفاق الوطني؟!!

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن ٢باب حرمة دم المؤمن وماله ١٢٩٧/٢ رقم ٣٩٣٢

(٢) سورة المائدة ، الآية (٢٨)

obeikandl.com

ماذا نقول للقادة: مروان البرغوثي، والنتشة، وملوح، والسعدي، الذين سهروا الليالي من أجل إنجاز هذه الوثيقة التي اتفق عليها الفلسطينيون، وشكلت صمام أمان عرفت بوثيقة الوفاق الوطني؟

ماذا نقول لأكثر من عشرة آلاف أسير ينتظرون ساعة الفرج؟

إن هذه الشريحة العزيزة على قلوبنا قد ضحت بالغالي والنفيس في سبيل حرية وطننا الغالي فلسطين، وتمسكوا بثوابتهم ومبادئهم، وكان الكثير منهم قادراً على الخروج من السجن لو تنازل عن ثوابته، فهؤلاء هم الأبطال الغر الميامين، يذكرني أسرانا البواسل وحبهم لوطنهم، وإخلاصهم لقضيتهم بموقف الصحابي الجليل زيد بن الدثنة رضي الله عنه- فقد سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- كيف كان حبكم لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-؟ فقال: (والله إن رسول الله كان أحب إلينا من آبائنا وأمهاتنا وفلذات أكبادنا، وكان أحب إلينا من الماء البارد على الظمأ)، وانتشر هذا الحب بين صفوف المؤمنين وأصبح ديدنهم والعلامة الدالة عليهم، والصفة البارزة فيهم حتى شهد بذلك الحب زعيم مكة حينذاك أبو سفيان بن حرب- والفضل ما شهدت به الأعداء- وقال كلمته المشهورة: (والله ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد)، متى قالها؟ ومتى نطق بها؟ حينما جيء بزيد بن الدثنة أسيراً ليقتل، فقال له أبو سفيان: أناشدك الله يا زيد، أتحب أن تعود معافى لأهلك وولدك؟ وأن يؤتى بمحمد هنا في مكانك ليقتل؟ فغضب زيد أشد الغضب؟ وقال: (والله ما أحب أن أرجع سالماً لأهلي وأن يشاك محمد بشوكة في أصبعه).

وأنشد الشاعر قائلاً :

أسرت قريش مسلماً في غــزوة فمضى بلا وجل إلى السيّاف

سألوه هل يرضيك أنك آمـــــــن ولك النبي فدى من الإجحاف
فأجاب كلاَّ، لا سلمت من الأذى ويصاب أنف محمد برعاف

وفي الختام نقول لكم: يا أسرانا البواسل، ويا قادتنا العظام، أنتم في قلوب كل الفلسطينيين، وسنحافظ على وصيتكم وعهدكم، ولن يخذلكم شعبكم إن شاء الله، وسيحافظ على وحدته وحرمة دمه، لأن فلسطين التي ضحيتم من أجلها ستبقى أكبر من الجميع، ولن يهدأ لنا بال، ولن يكون هناك استقرار إلا بخروج آخر أسير منكم، كي تتنفسوا نسائم الحرية، وكي تساهموا في بناء وطننا الغالي الذي ضحيتم جميعاً من أجله.

هذا هو أبسط حق لكم في رقاب أشقائكم، وشعبكم الفلسطيني، حيث سيعمل الجميع على إطلاق سراحكم إن شاء الله، ويسألونك متى هو؟! قل عسى أن يكون قريباً.

الرحمة لشهدائنا، والحرية لأسرانا، والشفاء لجرحانا، ودعوة من القلب، بأن يجمع الله شملنا، ويوحد كلمتنا، ويؤلف بين قلوبنا، وأن يزيل الغل من صدورنا، اللهم آمين يا رب العالمين.

opelkandil.com

ذكرى الهجرة النبوية الشريفة
ومعاناة الفلسطينيين في العراق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

يجيء هلال المحرم من كل عام، ومع شعاعه الفضي يتذكر المسلمون ساعة الشدة والعسر، ساعة النضال والنصر، والإفلات من الأسر، تلك الساعة التي بلغ فيها الشرك غايته في إيذاء المسلمين، وإيذاء الرسول الأمين، الذي خرج بأمر ربه فراراً إلى الله بدينه وكتابه، ولحاقاً بالمهاجرين قبله من أصحابه، إنها لحظات حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وفي عمر الإنسانية، حددت المسار ، وأقالت العثار، ومضت بالدعوة إلى الغاية المرجوة، وإن ملامح النصر فيها كانت شعاعاً كشعاع هلال المحرم يضيء الطريق أمام المسلمين.

إن ساعات الشدة هي محك الرجال، ولقد كانت الهجرة شدة ظهرت فيها رجولة محمد عليه السلام، وتجلت أصالته، فما ضعف وما استكان وما لان، ومضى ينفذ أمر ربه تحفه الملائكة، وترعاه عناية الله.

درس التفاؤل والأمل

إن الإسلام حرَّم اليأس وأوجد الأمل، وحرَّم التشاؤم وأوجد البديل وهو التفاؤل، وهذا درس الأمل والتفاؤل نتعلمه من ذكرى الهجرة النبوية الشريفة.

فهذا سراقة بن مالك يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم- ليظفر بجائزة قريش مائة من الإبل، لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم-حياً أو ميتاً، وعندما لحق سراقة بالنبي عليه السلام، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم- فساخت أقدام فرسه في رمال الصحراء، ثم قال له الرسول-عليه الصلاة والسلام-: "كيف بك يا سراقة إذا لبست سوارى كسرى؟!"[1]، وفعلاً عاد سراقة، ما الذي دفع الرسول -عليه السلام- إلى هذا القول؟! وفارس والروم كانتا مثل أمريكا وروسيا اليوم، الذي دفعه إلى ذلك هو إيمانه بربه، وثقته بنصره، وأمله في نصر الله للمؤمنين، وفعلاً تحقق ذلك، ونفذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه- عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وأعطى سراقة سواري كسرى عندما فتح المسلمون بلاد فارس.

فعلينا أن نكون دائماً متفائلين مهما اشتدت الخطوب واحلولكت الظلمات، فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر، وإن الفجر آتٍ بإذن الله، وسينتهي الاحتلال، وسيندحر هذا الظلام، وستشرق شمس الحرية والاستقلال، وستقام دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف إن شاء الله.

الثقة بالله والأخذ بالأسباب

الرسول عليه الصلاة والسلام وصاحبه الصديق – رضي الله عنه – أخذا بكل الأسباب، وتوكّلا على الله وسارا في طريقهما إلى المدينة، فلما دخلا الغار، رأى أبو بكر- رضي الله عنه – أقدام المشركين فاكتأب وحزن فقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال له الرسول-عليه الصلاة

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٨٥/٢ ، و صور من حياة الصحابة ص٤٦٥

والسلام – مطمئناً: يا أبا بكر، (**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ؟**)[١]، (لا تحزن فإن الله معنا)[٢].

هنا نفدت الأسباب فلا حول لهما ولا قوة، فقد صدقا في التوكل على الله، عندئذ تدخلت العناية الإلهية، فأمر الله الحمامتين أن تبيضا على باب الغار، وأمر العنكبوت أن ينسج خيوطه "وما يعلم جنود ربك إلا هو"، فالله كان قادراً على حمل رسوله من مكة إلى يثرب كما فعل ليلة الإسراء والمعراج، ولكنه الأخذ بالأسباب والثقة بالله وصدق التوكل عليه.

هجر المعصية للطاعة

وهذا درس نتعلمه من ذكرى الهجرة المباركة وهو هجر المعاصي، ومحاربة النفس والشيطان، فهذه الهجرة دائمة في مختلف الأزمنة والأمكنة، فقد جاء في الحديث: "**وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**"[٣].

فعلى المسلم أن يهجر المعاصي بجميع أشكالها من ربا، وغيبة، ونميمة، وأكل لأموال الناس بالباطل، وأن يفتح صفحة جديدة مع ربه، وكل ما أصاب المسلمين من ذل وضعف ليس تخلياً من الله عنهم، بل نتيجة حتمية لارتكاب المعاصي "من عرفني وعصاني سلطت عليه من لا يعرفني".

المؤاخاة في المدينة

عندما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة كان هناك عداء تقليدي مستحكم بين عرب المدينة دفعهم إلى حروب طاحنة، أفنت كثيراً من رجالاتهم، فجمعهم الرسول على الحق، وأصلح ما بين القبيلتين "الأوس والخزرج"،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن ٩ باب ثاني اثنين إذ هما في الغار ١٧٦/٨ رقم ٤٦٦٣

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ١٣٨/٢

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق ٢٦ باب الانتهاء عن المعاصي ٣٢٣/١١ رقم ٦٤٨٤

وأصبحا أخوة بعد عداء طويل، ثم آخى بين الأنصار -وهم أهل المدينة- وبين المهاجرين -أهل مكة- فأصبحوا إخواناً متحابين كالجسد الواحد، وبعدئذ فتحوا البلاد وأصبحوا قادة للأمم ومضرباً للمثل في جميع مجالات الحياة.

المهاجرون الفلسطينيون في العراق

الفلسطينيون يسكنون العراق منذ ما يقرب من ستين عاماً، منذ النكبة عام ١٩٤٨م، حيث أُخرج الفلسطينيون من أرض الآباء والأجداد، وانتشروا في بقاع المعمورة، ويعيش في العراق اليوم ما يقرب من ثلاثين ألف فلسطيني يتعرضون للتنكيل والتعذيب منذ سقوط العراق في أيدي المحتلين وأعوانهم، فمنذ أربع سنوات والفلسطينيون يتعرضون للقتل والتشريد والاعتقال، والترويع والإذلال، والاغتصاب، والسلب والنهب، وكل ألوان التعذيب، حتى بلغ عدد الشهداء الفلسطينيين على أرض العراق أكثر من خمسمائة شهيد، ونحن في ذكرى الهجرة النبوية الشريفة نتسائل: ما الذنب الذي اقترفهُ هؤلاء؟!!

ذنب هؤلاء أنهم فلسطينيون، عرب، يحبون دينهم، وعروبتهم، ووطنهم.

ومن هنا فإننا نتوجه من أرض الإسراء والمعراج بنداء عاجل إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية، والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والأمين العام للأمم المتحدة، وكل الأحرار في العالم أن يثيروا هذه القضية الخطيرة، وهذا الاستئصال لأبناء شعبنا الفلسطيني، وأن يعملوا جاهدين على توفير الحماية لهم، أليسوا عرباً يا جامعة الدول العربية؟!!

أليسوا مسلمين يا منظمة المؤتمر الإسلامي؟!!

أليسوا آدميين يا هيئة الأمم؟!!

أليسوا بشراً يا أحرار العالم؟!! لماذا هذا السكوت على الجرائم التي تقترف

ضد الفلسطينيين؟!!

إن الواجب على الأمة العربية أن تستوعب هذه الأسر الفلسطينية لتحيا حياة كريمة، ولنصون الدم الفلسطيني، والعرض الفلسطيني، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، هؤلاء هم المهاجرون الفلسطينيون، فأين الأنصار من أمة العروبة والإسلام؟!!

أملنا أن نسمع ونرى حلاً قريباً لمشكلة هذه الأسر الفلسطينية المهجرة ومعاناتها، إلى حين عودتهم إن شاء الله إلى وطنهم، إلى أرض الآباء والأجداد، ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً.

حنين الرسول إلى مكة

هاجر الرسول الكريم من مكة المكرمة إلى يثرب، وعلم الدنيا حب الأوطان، والأماكن المباركة والوفاء لمسقط الرأس عندما ألقى نظرة الوداع على مكة المكرمة وهو مهاجر منها وقال كلمته الخالدة:

(وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)[1].

وكان فراق مكة عزيزاً على الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة الكرام – رضي الله عنهم أجمعين –، فهذا واحد منهم اسمه أصيل جلس يتكلم عن مكة فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: (يا أصيل دع القلوب تقر فلا تذكرنا)[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب ٦٩باب في فضل مكة ٥/٧٢٢ رقم ٣٩٢٥.

(٢) كنز العمال ١٢/٢١٠ .

أجل فما من الوطن بد، وما للإنسان عنه من منصرف أو غنى، في ظله يأتلف الناس، وعلى أرضه يعيش الفكر، وفي حماه تتجمع أسباب الحياة، وما من ريب أن ائتلاف الناس هو الأصل، وسيادة العقل فيهم هي الغاية، ووفرة أسباب العيش هو القصد مما يسعون ويكدحون، ولكن الوطن هو المهد الذي يترعرع فيه ذلك كله، كالأرض هي المنبت الذي لا بد منه للقوت والزرع والثمار.

بين الأمس واليوم

فما أحرى شباب الأمة، ورجالها، ونساءها أن يتأسوا بالهجرة، ودور أبي بكر في وفائه، وعليّ في شجاعته وبلائه، وبعبد الله بن أبي بكر في دهائه، وعامر بن فهيرة في كتمانه، وعائشة وأسماء في ثباتهما.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فذكرى الهجرة تطالعنا اليوم ونحن نواجه قوات الاحتلال الإسرائيلي، وهي أشد ضراوة تريد أن تقضي من جديد على الشعب الفلسطيني المرابط فوق أرض فلسطين الطاهرة، حيث يتعرض هذا الشعب الصامد للقتل والتشريد، وهدم البيوت، وتدمير المصانع والمؤسسات والآبار، واقتلاع للبيارات والأشجار، وقصف وقتل واغتيال وتدمير وما صاحبه من تيتيم للأطفال، وترميل للنساء، وتشريد لمئات الأسر التي هدمت بيوتها، ومئات الآلاف من العمال الذين يحال بينهم وبين لقمة العيش الشريفة.

والعبرة الواضحة من الهجرة أن الإيمان بالله، والثبات على الحق، والصبر على المكاره، كل ذلك يستلزم النصر بإذن الله.

فليكن لنا في رحاب الذكرى مدد يوثق صلتنا بالله، ويربط على قلوبنا في معركة المصير، حتى نصون الحق، ونسترد الأرض، ونطهر القدس والأقصى، وترفرف أعلامنا خفاقة فوق ثرى فلسطين الغالية إن شاء الله.